

رمزية ليوناردو دافينشي  
دان بروانشيفرة دافينشي أنموذجا  
ط.د/ برحمة أمال

جامعة الجيلالي اليابس - سيدي بلعباس

واحد من العقول البشرية التي يشهد لها التاريخ هو العالم ليوناردو دافينشي، هذا الإيطالي الذي امتهن مجال علمية عديدة منها الفيزياء والكيمياء، والطيران والاختراعات، وتميز في الرسم والنحت والأدب، وهو بذلك أحد أهم الأسباب في النهضة الغربية للعالم الحديث، واندثار العصور المظلمة لعصر التنوير وحرية الفكر.

استطاع ليناردو دافينشي أن يحقق شهرة كبيرة حول العالم كمخترع وكرسام، ومن أشهر تحفه الفنية الخالدة لوحة الموناليزا أو الجيوكوندا، المعروفة بابتسامتها العجيبة والتي تخفي خلفها أسرار فكر فذ و عقل عبقرى.

وتم استخدام ليوناردو دافينشي كرمز فني في العديد الأعمال الروائية على رأسها الأدب الأمريكي، فقد حقق أديب أمريكي شهرة عالمية بعد استخدامه الذكي لهذه الشخصية، كان هذا الكاتب الأديب العالمي دان بروان في روايته شيفرة دافينشي والتي يكسوها الغموض والسرية المميزة.

دان بروان استطاع تحقيق نجاح كبير في مجال الكتابة الإبداعية، و ذلك عبر استخدام شخصية تاريخية متميزة تتعلق بها العديد من المسؤوليات، فالتعامل مع شخصية تاريخية معروفة بعد أمرا صعبا للأديب فهو أمام إرث علمي لا بد من التعامل معه بعناية دون الإساءة لشكله المعهود في التاريخ ودون المساس بصورته المعروفة أمام العالم.

ويعتبر البعض من القراء أن شيفرة دافينشي لصاحبها دان براون واحدة من الروايات البوليسية المثيرة في الأدب الأمريكي

الحديث، والتي استطاعت أن تحقق للنقد الغربي مشروعاً بحثياً جديداً، خاصة أنها من النوع الأدبي الذي ساهم في إحياء عالم

الميثولوجيا والأسرار والرموز والمجتمعات السرية.

وما يلفت انتباه أي قارئ لهذا النوع من الروايات المميزة أنها تختلف في الكثير من الصفات عن الرواية البوليسية المعهودة،

فالمتبع لأعمال سيدة الرواية البوليسية أغاثا كريستي سيلاحظ ذلك الاختلاف بينها وبين شيفرة دافينشي، وسيلاحظ الاختلاف

الجوهري في بناء الرواية البوليسية وهذا النوع الجديد أو ما يعرف برواية الغموض.

واجه دان براون تحدياً قوياً، عندما استعان بشخصية علمية مثل شخصية دافينشي، فهو أمام معاناة الحفاظ على الصورة المثالية

في التاريخ لليوناردو دافينشي، خاصة إذا كان هدفه هو عكس حقائق معينة ترتبط ارتباطاً مباشراً بأحداث تاريخية معينة.

ويسعى هذا المقال للكشف عن مميزات الرمزية في الرواية، و كيفية استخدامها و توظيفها في رواية شيفرة دافينشي لدان براون،

و قدرة دان براون من التحكم في هذه الرموز في خدمة عمله الأدبي.

## 1. ترجمة ليوناردو دافينشي:

يعتبر ليوناردو دافينشي واحداً من أبرز الفنانين عبر التاريخ و المساهم الأكبر في النهضة الإيطالية خاصة والنهضة الغربية عامة،

وعرف حول العالم بلوحاته الشهيرة على رأسها لوحة العشاء الأخير و لوحة الموناليزا، غير تأثيره البالغ على سير الحركة الفكرية في

أوروبا وخارجها " ليوناردو دافينشي 1452-1519 كان أكثر الأوروبيين موهباً على الإطلاق، وواحد من أكثر الأشخاص

عبقريّة في التاريخ البشري، عرف بداية بصاحب التحفتين الموناليزا و لوحة العشاء الأخير، وعرف كذلك بعبقريته في النحت وتميز

كعالم ومهندس"<sup>1</sup>.

كان له الدور الأكبر في حركة النهضة الأوروبية واندثار فترة العصور الوسطى أو العصور المظلمة نتيجة للبحوث العلمية المتنوعة التي ساهم بها "فدراسته تنوعت بين علم التشريح والفلك، والطب، والجيولوجيا، والأسلحة، والآلات الموسيقية، وآلات الطيران، والتي ساهمت في نشأة الكثير من الأبحاث العلمية والاختراعات في العصور القادمة"<sup>2</sup>.

وتتميز دافينشي في توظيف قدرته الفكرية في جميع المجالات العلمية، وأهم مبادئه هي التميز في مجال منها.

ويعود ذلك لرغبته الملحة في الوصول للكمال، وتحقيق النسبة الذهبية في جميع التخصصات " ولد في مدينة فينشي وهي التي

لقب بها طيلة حياته، أمضى بداية حياته في العيش مع عمه في قرية صغيرة، وأضى وقته يكتشف الريف الاوربي ويسجل ملاحظته

في شكل رسومات ومخططات، ولأنه ولد من غير زواج فكل فرصة في التعلم ضاعت فقد كانت هذه المسألة حساسة وخطيرة في

هذا الزمن، لكنه تعلم الكتابة والقراءة من كاهن الكنيسة"<sup>3</sup>.

واستطاع والده استدعاءه للعيش رفقته في فلورنسا، واستطاع ضمه للقسم الفني الخاص بتعليم الرسم والرسم للفنان أندريا دل

فيروتشيو سنة 1467، ففي هذه الفترة كان من عادة الايطاليين تعليم ابنائهم في سن الثالثة عشر والرابعة عشر حرفة معينة كعمل

خاص " وفي سنة 1503 بدأ دافينشي العمل على أحد أهم وأبرز لوحاته الفنية المعروفة الموناليزا والتي اكسبته شهرة عالمية ضخمة،

و حملت هذه اللوحة لحد يومنا هذا سر ابتسامتها الهادئة والغريبة والتي دارت حولها الكثير من الأسرار، فالبعض أكد أنها صورة

لسيدة من نبلاء المجتمع، والبعض الآخر قال أنها صورة دافينشي الخاصة وقدرته الإبداعية في الرسم جعلته يبدع في اخفاء ذلك"<sup>4</sup>.

ولعل أكثر الأسباب التي خلقت هالة الغموض حول هذه اللوحة هو نسب السيدة التي فيها فليومنا هذا ليزال المؤرخون في

خلاف دائم حول نسبها.

## 2. السيرة الذاتية لدان بروان:

دان بروان هو صاحب الروايات العالمية الأكثر مبيعا في التاريخ على رأسها شيفرة دافينشي، والتي تم اعتبارها أكثر الروايات مبيعا في تاريخ الأدب، فقد حطمت الأرقام القياسية للمبيعات، خاصة وأن الموضوع الذي تناولته لفت انتباه العديد من القراء والباحثين، فقد تم ترجمتها لأكثر من خمس وعشرين لغة وبيعت منها حوالي مئتي مليون نسخة.

ويعود اصل دان بروان للولايات المتحدة الأمريكية " ولد دان في مدينة أكستر نيو هامشير في 22 جوان 1964، وفي نفس المدينة تم دراسته الابتدائية والاكاديمية والثانوية وانضم لمعهد أكستر للفنون والآداب أين درس والده ريتشارد الرياضيات، واشتغلت والدته في كنيسة الحي وعزفت الموسيقى فيها، بل وقامت بضم ابنها للحوقة الخاصة بالكنيسة"<sup>5</sup>.

كانت اولى روايات دان هي رواية ملائكة وشياطين والتي تناول فيها فكرة الخلفيات التاريخية للديانة المسيحية والأسرار الخاصة بالفاتيكان، وبعد نشره لروايته الثانية شيفرة دافينشي لمع اسمه حول العالم باسم الكاتب المثير للمشاكل، فقد لفت انتباه القراء والباحثين إلى فكرة إعادة قراءة التاريخ من خلال الرموز والعلامات التي خلفها السابقون.

وقد تم اعتبار رواية شيفرة دافينشي سنة 2003 في مجلة تايمز الأمريكية بالرواية الأكثر مبيعا في التاريخ "حيث بيعت منها ستة آلاف نسخة في يومها الأول فقط، وحققت لحد اليوم مبيعات ثمانين مليون نسخة عالميا"<sup>6</sup>.

### 3. ملخص الرواية:

تحدث الرواية عن الحادثة التي هزت باريس، بعدما تم اطلاق النار على جاكسونير مدير متحف اللوفر ترك وراءه لغزا غامضا يحمل في حله سرا تم دفنه لمئات السنين وللحفاظ على السر لا بد من التضحية، ولا يمكن لأحد فك هذه الرموز غير عالم متخصص، وفي اليوم الذي أصدر فيه روبرت لانغدون كتابه زاره أحدهم ليخبره عن وفاة صديقه المقرب جاكسونير وأخبر أن هذا الأخير قد ترك وصية يقول فيها "أخبروا لانغدون"، وكان الدكتور روبرت هو أحد الأفراد الذي لهم الأحقية في رؤية القليل

فوجد جاك سونير في حالة مخيفة وما يظهر له أنه قد وشم على جسمه باستخدام آلة حادة رسالة ولغز لا بد من فكه، ومشكلا على الارض الرسمة المعروفة لدافنشي لوحة الرجل الفيروفي.

وتبدأ رحلته من هناك لفك الرموز والأسرار التي ترتبط بدافنشي واسحاق نيوتن **Isaac Newton**، وأسماء كثيرة صادمة، والتي ارتبطت بجمعية سرية تدعى جمعية سيون الدينية لحماية السر المقدس وهو سر علاقة المسيح بمريم المجدلية.

وتتواصل رحلة لانغدون رفقة صوفي حفيده سونير لاكتشاف سر سيغير حياة كليهما للأبد. ولعل الإثارة التي تصبغ الرواية بأكلمها و دوي الرافضيين لها هو ما تسبب في تحافت الكثيرين لاقتنائها وبالتالي زيادة مبيعاتها وانتشارها عالميا، وبالطبع تم منعها في دول أوروبية كثيرة على رأسها الفاتيكان التي اعتبرت هذه الرواية طعنا في الكتاب المقدس، ومنعت في دول عربية منها الاردن ولبنان، ومنع كذلك دان بروان من دخول الفاتيكان.

#### 4. تقنية الرمزيات في الرواية:

الرموز عبارة عن مواد، أو شخصيات، أو وجوه، أو ألوان، تستخدم لعرض أفكار معينة أو قناعات رئيسية، وتعد الرموز كذلك لغات خاصة لها قدرة خاصة على ادراك تاريخ وأحداث سابقة في سبيل ادراك الحاضر وتجنب المستقبل.

وقد كان دان بروان ذكيا في استخدامه لهذا الرمز التاريخي في سبيل اىصال رسالة معينة للعالم، وكشف أسرار تاريخية مستخدما الموناليزا كواجهة لذلك " كان الوصف المدقق للون الأحمر اللامع الخاص بشعر صوفي مهما في الرواية، ووصفه بروان بالدم المتدفق، فحين شاهدها روبرت أول مرة لقبها بالحمراء، إشارة منه لصحتها البدنية العالية و قارن بينها وبين فتاة شقراء تدرس عنده في أمريكا اشارة منه لمقارنة بين الدولتين"<sup>7</sup>.

والوصف الدقيق الذي قدمه بروان لشعرها الأحمر مثله في تفكير لانغدون عندما تذكر جميع صاحبات الشعر الأحمر في حياته، واللون الأحمر في الرواية يحمل في العادة دلالات سياسية وأراء مساندة أو معرصة لأسلوب حكومي معين، لكن بروان لم يقتصر ذلك على دولة واحدة فقط في روايته بل عدد أماكن كثيرة.

أما الرمز الثاني الذي ركز عليه براون هي تلك الرمة التي تركها جاك سونيير على أرضية المتحف والتي ترتبط ارتباطا مباشرا برسومات دافنيشي في التشريح، وفي تمثليه الخاص لجسم الانسان" عادة الرموز الدينية في الرواية تستخدم لوصف فئة خاصة أو جماعات خاصة وفي حالة بروان كانت المسيحية، فالاسرار التي أخفتها رسومات دافنيشي كانت تعود بالدرجة الأولى للإشارة إلى العلاقة التي ربطت مريم الماجدلية بالمسيح"<sup>8</sup>.

وما نراه في شيفرة دافنيشي أن دان براون تمكن من هذه الرموز التاريخية واستطاع توظيفها لخدمة غرضه الخاص وهو كشف بعض الاسرار التي ارتبطت بدافنيشي والجمعية السرية لم يعرف عنها اي احد، وكل ما أشار إليه من ألوان وأبنية وثمانيل، تجتمع سوياً لتشكيل الرسالة الخاصة بالرواية.

رواية شيفرة دافنيشي الرواية الدينية التاريخية الثانية نشرت سنة 2003 أو التي تعرف بالعقيرة الأدبية التي قلبت موازين التاريخ فغيرت الساحة الأدبية للأبد، فبعد الانتشار الضخم لهذه الرواية حول العالم تحصل بروان على لقب الكاتب الأكثر قراءة ومبيعا في التاريخ، وحطمت روايته جميع الأرقام القياسية للكتب وكان بذلك أول من كانت له القدرة والجرأة على التحدي بصوت عالي للأفكار السلبية والتاريخ الخاطيء.

ليوناردو لا يزال يبهنا لأن فكرة عقيرة خالصة لا تصدق الا لله سبحانه وتعالى، وقد تعزز هذا من قبل الأساطير المحيطة لليوناردو، والتي لا تتوافق تماما مع الواقع. الطريقة التي جمعت بها معرفة عصر النهضة العديد من التخصصات والدراسات المختلفة لا يمكن تطبيقها على العصر الحديث.

في عصر النهضة، كان ليوناردو واحداً من العديد من أهل الرياضيات ومجالات العلوم المختلفة، وذلك الكم الهائل من الخلفيات الثقافية والمعرفية هي التي جعلت دان بروان يستظل بدافينشي في روايته هذه "حتى يُوْشر على مرآة جديدة يمكن من خلالها ان انعكاس أفكار دافينشي التي حيرت العلماء إلى يومنا هذا والتي ساهمت كذلك في تشكيل ثقافات وتغيير قوميات عديدة، ناهيك عن اكتساج مجال الاختراع والتكنولوجيا"<sup>9</sup>.

وأعتقد أن نُهج عصر النهضة لتوحيد الدراسة العلمية والفنية والثقافة يمكن أن يكون مصدر إلهام للعديد من أساليب البحث في العصر الحديث.

وتبقى رواية الغموض والأسرار محل دراسة الكثير من النقاد حالياً، فالبعض يضمها الى مجال الرواية البوليسية في حين يضمها البعض الى مجال الرواية التاريخية.

لكن التأثير الكبير لهذا النوع في الساحة الأدبية كان له من النتائج الكثير من بينها ظهور كتاب عرب حاولوا التأليف في هذا النوع، ولعل الرواية السعودية بالدرجة الأولى كان لها الحظ الأوفر.

ولعل دان بروان يعتبر حالياً هو ابرز الاسماء التي تألقت في هذا القالب الجديد، واستطاع بموهبته المميزة تحقيق قاعدة قراء ضخمة حول العالم فرواياته تترجم إلى جميع اللغات وتطبع منها الملايين من النسخ القديم منها والجديد.

ويظل اعتبار اسم دافينشي في الروايات ذكاء خاصا بالكاتب حتى يجلب لكتاباته بقعة الضوء التي يسلمها النقد ويسلمها القارئ على العمل الأدبي.

والاستعانة بأعلام مشهورة من التاريخ أو مشهورة في زماننا يعتبر مخاطرة وتحدياً في نفس الوقت، اولا الكاتب يسعى لتحقيق الهدف المراد من استخدام شخصية علمية وثانيا الكاتب أمام خطر الاضرار بصرح انساني معروف أو الاطاحة بنفس في فخ

الخلفية التراثية للشخصية نفسها.

وقد يكن البحث هذا قد ألقى الضوء على بعض النقاط التي تحيط برواية شيفرة دافنيشي لكن هذا النوع من الروايات يظل

محل الدراسة والتحقيق والتمعن، خاصة أنها تقدم للقارئ كما هائلا من المعلومات، لكن لا يمكن للقارئ الاعتماد عليها كمرجع

علمي لكن يمكن اعتبارها بداية لحبل من البحث والنقاشات.

والمميز بها أنها تترك للباحث فسحة كبيرة للتعبير وطرح التساؤلات التي يشاء فهو أمام ظاهرة أدبية مميزة ومثيرة للاهتمام تمكن

الشخص الذي امامها من التركيز على تفاصيل لا يمكن للعين المجردة الانتباه لها من البداية، بل لا بد من امعان النظر والقراءة

المتعددة لغرض الوصول للسر المدفون .

ويمكن للباحث أن يدرس نشأة ادب الغموض، أعلام هذا الأدب بين العالمين العربي والغربي، دراسة الابعاد المختلفة التي تثيرها

هذه الروايات، المقارنة بين الاديان والجماعات السرية والأحداث التاريخية المختلفة.

### الهوامش:

- 1- Atless ness, leonardo da vinci hans tid, gydendal 2014, foreign rights, gyldendal.no, p03.
- 2- Leonardo da vinci, walter isaacson by glem c.altshuler, oct29,2017, uk, p04.
- 3- عمار لحسن، الرواية و الإيديولوجيا، المطبعة و الوراقة الوطنية، الطبعة الثانية، مراكش، 2016، ص 10.
- 4- Leonardo work shop, the invention, art and science of leonardo davinci, library of congress teacher guide, usa , 1998, p02.
- 5- دان براون، شيفرة دافنيشي، ترجمة مركز التعريب و الترجمة، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، لبنان، 2004، ص 2.
- 6- Tebba khalil, detecting the detective elements in dan browns the davinci code, university of telemcen, masters degree, 2015/2016, p28
- 7- عمار لحسن ، الرواية و الايديولوجيا، ص 14.
- 8- فانسون جوف، اثر الشخصية في الرواية، ترجمة لحسن أحمامة، دار التكوين، الطبعة الاولى، سوريا ، 2012، ص10.
- 9- وليام د.هارت إدوارد سعيد والمؤثرات الدينية للثقافة، ترجمة قصي أنور الديان، أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الاولى، الامارات، 2000، ص 24.